ظاهرة التكرار وأشكالها في ديوان غداً سيُقبِلُ الربيع للشاعر خالد زغبية دراسة وصفية تحليلية

د. سهام عامر إمحمد الشعباني ـ كلية التربية الزاوية - جامعة الزاويـــــــة .

الملخّص :

عنوان هذه الدِّراسة (ظاهرة التكرار وأشكالها في ديوان غداً سيُقبِلُ الربيع للشاعر خالد زغبية) ، فلقد اهتم العرب بظاهرة التكرار في الشعر نظراً لمساهمتها في بناء لغة النص الشعري ، وما تتضمنه من إمكانات تعبيرية ، وإيحاءات جمالية ذات معاني دلالية تستقطب المتلقي في ظلالها ، وتعددت أشكال ظاهرة التكرار في ديوان (غداً سيُقبِلُ الربيع) للشاعر الليبي خالد زغبية، منها: تكرار الحرف، وتكرار الكلمة سواء أكانت اسماً أو فعلاً، وتكرار جزء من جملة، وتكرار الجملة أو العبارة ، والهدف الرئيس من اختيار هذه الدِّراسة هو الكشف عن ملكة الشاعر اللغوية، ومدى قدرته على التعبير عن الواقع المعيش من خلال ظاهرة التكرار، ومن أهم النتائج التي توصّلت إليها الدِّراسة، إنّ التكرار يُحقق وظيفة جمالية من خلال ما يحدثه من إيقاع صوتي نابع من ذات الشاعر، وإخراجه بمنظار رؤيوي جديد.

Abstract:

The title of this study was (The phenomenon of repetition and its forms in the poetry collection "Tomorrow Spring will Come" by the poet Khaled Zaghbiya).

The Arabs were interested in the phenomenon of repetition in poetry due to its contribution to building the language of the poetic text, the expressive potential it contains, and the aesthetic suggestions with semantic meanings that attract the recipient in its shades.

There are many forms of the phenomenon of repetition in the collection (Tomorrow Will Come Spring) by the Libyan poet Khaled Zoghbiya, including: repetition of a letter, repetition of a word, whether it is a noun or a verb, repetition of part of a sentence, and repetition of a sentence or phrase.

The main goal of choosing this study is to reveal the poet's linguistic ability and the extent of his ability to express living reality through the phenomenon of repetition.

Among the most important findings of the study: Repetition achieves an aesthetic function through the vocal rhythm it creates emanating from the poet's own soul, and presenting it from a new phenomenological perspective.

المقدمـــــــــة:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد

كان عنوان هذه الدّراسة (ظاهرة التكرار وأشكالها في ديوان غداً سيُقبِلُ الربيع للشاعر خالد زغبية) دراسة وصفية تحليلية ، والسبب الرئيس لاختيار هذه الدّراسة هو الكشف عن أثر الموسيقي الداخلية، المتمثل في ظاهرة التكرار التي تُعد لوناً من ألوان التجديد ودلالتها في النص الشعري.

وقد اعتمدت في هذه الدّراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يناسب جميع أبعادها.

وكان الهدف الرئيس لهذه الدّراسة هو الكشف عن ملكة الشاعر اللغوية، ومدى قدرته على التعبير عن الواقع المعيش من خلال ظاهرة التكرار.

وتتمثل مشكلة الدّراسة في أنها تحاول أن تجيب على التساؤلات الآتية:

- هل تُعد ظاهرة التكرار لوناً من ألوان الإيقاع الموسيقى في الشعر؟ وهل تعدّدت أشكالها؟ وهل التزم الشاعر في ديوانه الشعري (غداً سيُقبِلُ الربيع) بنوع واحد من أشكالها أو لم يلتزم؟

وقد قسّمت الدِّراسة إلى مُدخل يهيئ أرضية الدِّراسة، وأربع محاور على النحو الآتي:

المحور الأول: تكرار الحرف ، والمحور الثاني: تكرار الكلمة.

أ- تكرار الكلمة – الاسم.ب- تكرار الكلمة – الفعل. المحور الثالث: تكرار جزء من جملة ، والمحور الرابع: تكرار الجملة ، وذُيِّلت الدِّراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج.

مُدخـــــــــــل :

إن دراسة خصائص إيقاع أي شعر أو قصائد دواوين شعرية تقتضي تناولها من خلال ما يُعرف بالموسيقى الداخلية، والتي سنقتصر على تقنية التكرار منها من دون غيرها من التقنيات الأخرى التي تعطي موسيقى داخلية للنص.

إيقاع الموسيقى الداخلية:

ظاهرة التكرار:

تُعد ظاهرة التكرار سمة مميزة في الشعر، واهتم بها العرب في بناء نصوصهم الشعرية، لما تتضمنه من إمكانات تعبيرية، وإيحاءات جمالية تستقطب المتلقي في ظلالها.

و"التكرار يُعد ظاهرة موسيقية تساهم في صناعة إيقاع النص، لذا فإن التنوع في أشكال التكرار، والتعدد في أساليبه يعد من قبيل التنوع في المُكوّنات الإيقاعية، ولاشك أن التكرار يرتبط بالمُكوّنات الإيقاعية للقصائد ويساهم في إنتاج الدلالة وفي بث الشعرية"[1].

ويهتم الشاعر المبدع بظاهرة التكرار لما لها من قيمة جمالية، ويبذل أقصى طاقاته الإبداعية في كيفية استخدامها حتى تحقق مقصديته من جرّاء هذا التكرار بمنظار رؤيوي جديد، فبالتالي يحقق التكرار وظيفته الجمالية من خلال الإيقاع الموسيقي الصوتي النابع من ذات الشاعر.

وتنحصر ظاهرة التكرار في الأشكال الآتية:

1- تكرار الحرف:

اعتمد الشاعر خالد زغبية في بعض قصائده على تكرار الحرف لما له من وقع إيقاعي صوتي على النفس، من خلال تآلف الأصوات فيما بينها، وأحياناً "يتكرر حرف بعينه أو حرفان أو ثلاثة حروف بنسب متفاوتة في جملة شعرية"[2]، ممّا يعطى نمطاً إيقاعياً صوتياً له دلالة تعبيرية جمالية يستطيع من خلالها شد انتباه القارئ أو المتلقي.

وهناك بعض المقتطفات الشعرية للشاعر خالد زغبية التي تُبيّن تكرار الحرف عنده، وسنرى ذلك في قصيدته التي بعنوان: (أغنية إلى بغداد) التي يقول فيها:

إليك يا بغداد
يا بلد الآساد
يا مريض الأحرار والثوار
يا معقل العروبة الكبير
إليك يا بغداد
على مدى البعاد
أغنية مفعمة بالحب والسلام
لشعبك الحبيب
لجيشك المهيب

يا طالما احترقت يا بغداد باللهيب
يا طالما اصطليت بالسعير
يا طالما قد ركض الهوان
في سوحك قد ركض الهوان
وسيق من بنيك للمشانق الكثير
وازدحمت بطون
سجونك السوداء
بكل الشرفاء[3].

تكررت أداة النداء (الياء) والتي كانت لها دلالة الحزن والألم والحرقة، وكانت نفس الشاعر منكسرة تحمل زفرات حارقة، وغصة خانقة ناتجة من مرارة العيش في البلد المحتل الذي يكابد أهله ويلات القهر والظلم والاستبداد، ومن خلال التكرار الصوتي لـ(ياء النداء) استطاع الشاعر التنفيس عن حرقته المؤلمة إزاء الواقع المعيش، فقد أسهم التكرار في توطيد الحالة الشعورية بتوترها الداخلي وحسها العاطفي، وتدفقها الشعوري، واستطاع تكرار الحرف هنا ربط الجمل مع بعضها ووصولها إلى حالة موسيقية في دور علائقي بارز.

2- تكرار الكلمة:

الكلمة المكرّرة قد تُسهم في قوة الإيحاء أو تُضعفه، ويُعد "تكرار الكلمة أبسط ألوان التكرار وأكثرها شيوعاً بين أشكاله المختلفة"[4]، وهذا التكرار يحتاج إلى دراية كبيرة من الشاعر من خلال انتقائه لمفردات مؤثرة؛ لأن التكرار في مواضعه المختلفة له "علاقة كبيرة بظروف الشاعر النفسية، وطبيعة حياته"[5]، حتى تعطي المفردة المكررة لوناً إيقاعياً جميلاً، وقد تكون الكلمة المكرّرة اسماً أو فعلاً.

أ- تكرار الكلمة – الاسم :

الكلمة المكررّة يجب أن يكون لها ارتباط كلّي قوي بالمعنى العام للقصيدة؛ لتعطي قيمة للنص الشعري، وإلاّ لا فائدة من تكرارها، "وما يتكرر من مسمّيات ضمن هذا النمط من التكرار يمتاز في الأغلب باقتصاره على الموضع الذي يرد فيه، وعدم مجاوزته للدخول ضمن مسمّيات التكرار الشعوري، وعليه فالأسماء في هذا المستوى غير محددة"[6]، حتى تعطي دلالة إيحائية هادفة داخل السياق الشعري، يستطيع الشاعر من خلالها شد ذهن المتلقي أو القارئ.

ويقول الشاعر في قصيدته التي بعنوان (بكائية):

ولدي رفيق...
ولدي – فقدتك – والحريق..
يجتاح أعماقي، فألتمس الطريق..
نحو الهدى والصبر،
ألتمس الطريق..
في ليل دنياي السحيق..
سأظل أفتقد الطريق
يا زهرة ذبلت..
فلا عطر يضوع، ولا بريق[7]..

كرّر الشاعر مفردة (ولدي) مرتين لما لها من أثر عميق في الكشف عن حالته الشعورية الانفعالية، فقد سبّب فقدان ولده جرحاً عميقاً في نفسه، ففي الشطر الأول صرّح باسمه قائلاً: (ولدي رفيق...)، وفي الشطر الثاني يقول: (ولدي – فقدتك – والحريق..)، فمن خلال تكراره لمفردة (ولدي) استطاع أن يوصل شدة معاناته وحرقته على فقدان ولده للقارئ، وبواسطة التكرار استطاع أن يحفزّ صور القصيدة، ويُوحّد دلالاتها ويستجمعها في صور دالة فاعلة مؤثرة، وفي أشطر أخرى من القصيدة ذاتها يقول:

كما ذا تردد في الصباح، وفي المساء..
"..بابا" توقعها بأنغام تدغدغني..
بألف من شعور..
"..بابا" ترددها، فتغمرني بفيض من سرور[8]

إن تكرار لفظة (بابا) مرتين في هذا المقطع الشعري تُولّد طاقة انفعالية عاطفية، لم يأت تكرارها عشوائياً، وقد جاء هذا التكرار موحّداً لحركة الصور من خلال ترابطها وانسجامها، ممّا يدفع القارئ على التأمل من خلال عاطفة الأبوّة واسترجاع الأب ذكرياته مع ولده، فمن خلال هذا التكرار استطاع الشاعر أن يربط خيوط النص في صورة كلية موحّده، أدّت دوراً فنياً فاعلاً في سياق النص الشعري.

ب- تكرار الكلمة – الفعل: يساعد تكرار الأفعال في تكثيف دلالة المعنى في النص الشعري، و"لا يمكن الحكم بوجود التكرار لمعاني الأفعال في شعر أي شاعر كان؛ ذلك أنها ترد دائماً وفق الحاجة إليها، أو وفق ما يقتضيه السياق"[9]، ولأهمية الأفعال المكرّرة نورد المقطع الشعري للشاعر خالد زغبية الذي بعنوان (إلى أحمد قنابة) إذ يقول:

غاض المعين فبات الأفقُ محتلكاً

وغار نجم الدجى وانفض سمار

غاض المعين فبات النبع معتكراً

فلا نديم، ولا كأس واسحار[10]

لقد كشف تكرار الفعل (غاض) وهو بمعنى (غاب) شدة الألم والحزن على فراق وغياب أحمد قنابة الذي ينعيه الشاعر خالد زغبية بعد وفاته بشهر في هذه القصيدة، ولتأكيد ذلك كرّر الشاعر الفعل (بات) مرتين وهو بمعنى (صار)، فقد صار الأفق محتلكاً أي حالكاً مسودّاً شديد السّواد، ومنبع عيون المياه أصبحت عكرة لفقدان قنابة الذي كان الصديق والرفيق له، وكان لتكرار الشاعر لفعل (غاض) و(بات) دلالة معبّرة عن عاطفته المتقدة نحو صديقه، ليحكي إحساسه للقارئ، وقد أضفى هذان الفعلان لمسة جمالية للنص تتناغم مع حس الشاعر وانفعالاته الداخلية.

3- تكرار جزء من جملة:

إن تكرار الشاعر لـ(جزء من جملة) "لا تعني استقلال القيمة الصوتية عن غيرها من القيم الشعورية والدلالة الفكرية"[11]، والشاعر يترك الجزء الآخر المكمّل للجملة مفتوحاً ومتغيراً على الدوام؛ ليضفي لمسة جمالية على الجزء المكرّر منها، "واللّفظ ما دام يراد به الحديث لابد من دلالته على معنى في تركيب ملفوظ أو مقدّر"[12]، حتى يعطي للنص الشعري قيمة فنية دلالية تتولّد من فاعلية المكرّر، مما يترك هذا التكرار أثره في نفس المتلقي.

ويقول الشاعر في قصيدته (أغنية إلى جيشنا الليبي):

يا جيشنا الليبي... يا أمل الذين تحيروا عبر الدروب

يا ثأر موتانا الذين تمزقوا فوق الأسنة والحراب[13]

وفي أشطر أخرى من ذات القصيدة يقول:

يا جيشنا الليبي... يا أمل القلوب

يا رافد الشعب الحبيب

يا جيشنا الليبي... يا طوق النجاة[14]...

استهل الشاعر قصيدته بـ(جزء الجملة) في قوله: (يا جيشنا الليبي) الذي تكرّر ثلاث مرات في القصيدة، مما أعطى دلالة فنية رؤيوية للنص الشعري من خلال الدفقة الانفعالية عند الشاعر في صورة متتابعة مترابطة منسجمة، تُبيّن للقارئ أو المتلقي

أهمية حماة الوطن والمواطن مع أداة النداء (الياء) التي تضفي على النص الشعري لمسة جمالية ناتجة من خلال هذا التكرار.

4- تكرار الجملة :

يُعد تكرار الجملة أشد أثراً من تكرار الكلمة؛ لأنه يُشكّل صورة فنية متكاملة، أو معنىً دلالياً كاملاً، ويعمد الشاعر إلى مثل هذا التكرار لما فيه من دلالة فنية إيحائية للقصيدة، "وتكرار الجملة هو الملمح الأسلوبي الأكثر بروزاً لتلاحم النص"[15]، وهذا التكرار يجعل القصيدة تؤدي دورها المنوط في إنتاج شعريتها تكثيفاً للمعنى بشكل مترابط ومنسجم، ويقول خالد زغبية في قصيدته (أغنية الى بغداد) موضحاً تكرار الجملة في ثناياها:

إليك يا بغداد
يا بلد الآساد
يا مريض الأحرار والثوار
يا معقل العروبة الكبير
إليك يا بغداد
على مدى البعاد
أغنية مفعمة بالحب والسلام
لشعبك الحبيب
لجيشك المهيب[16].

ويقول الشاعر في أشطر أخرى من القصيدة ذاتها:

إليك يا بغداد
أغنية من شاعر، حياته لظى
وغده انتصار
يا بلد الآساد
يا مريض الأحرار والثوار...
ومعقل العروبة الكبير[17].

نظراً لحالة الحزن واليأس والكآبة التي يعيشها شعب العراق وهو تحت وطأة العدو المحتل لهذه الأرض العربية، والذي أذاق شعبها الويلات وجرّعه المرارات، وكانت نظرة شاعرنا نظرة تفاؤلية نظرة أمل وتحرر من الكبت الذي يعانيه هذا الشعب من

الحصار الخانق له، يتضح ذلك من خلال قوله: (إليك يا بغداد، يا بلد الآساد، يا مريض الأحرار والثوار، يا معقل العروبة الكبير) استطاع الشاعر من خلال هذا التكرار بث روح الأمل والتفاؤل إيماناً منه بالخلاص والتوق لحياة جديدة، والذي يؤكد ذلك قوله: (يا معقل العروبة الكبير) منادياً لبغداد عاصمة العراق بأداة النداء (الياء) بأنها ستنتفض ضد الظلم والطغيان يوماً ما، وستشرق شمس الأمل من جديد وينجلي ظلم القهر والاستبداد، وفي الشطر الأخير عندما قال: (ومعقل العروبة الكبير) كرّر هذه الجملة من دون ياء النداء؛ وذلك لأنها ستبقى بلد العروبة والحرية متحدّية كل مظاهر الظلم والطغيان بفضل شعبها المناضل، استطاع الشاعر من خلال هذا التكرار (تكرار الجملة) أن يُعمّق إيحاءات قصيدته ويُمتّن دلالتها.

الخاتمة :

توصّلت الدِّراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

1- تُعد ظاهرة التكرار في الشعر سمة مميزة اهتم بها العرب نظراً لمساهمتها في بناء لغة النص الشعري.

2- اهتم الشاعر اللّيبي خالد زغبية بهذه الظاهرة (التكرار) لما لها من قيمة جمالية، وبذل أقصى طاقاته الإبداعية في كيفية استخدامها حتى تحقق مقصديته من جرّاء هذا التكرار.

3- يحقق التكرار وظيفة جمالية من خلال ما يحدثه من إيقاع موسيقي صوتي نابع من ذات الشاعر، من خلال تكرار الحرف، والكلمة سواء أكانت اسماً أو فعلاً، وتكراره لجزء الجملة، والجملة أو العبارة، ويخرجها بمنظار رؤيوي جديد.

الهوامـــــــــش :

(1) راشد فهد القثامي، شعرية الإيقاع، بحث في قصيدة محمد الثبيتي، دراسات نقدية، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 2014م، ص:110.
(2) منذر عياشـــي، الأســلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضـــاري، حلب، ســورية، ط1، 2002م، ص: 78.
(3) خالد زغبية، الأعمال الشـعرية الكاملة، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1، 2007م، ص: 247، 248.
(4) فهد ناصـر عاشـور، التكرار في شـعر محمود درويش، دار الفارس للنشـر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2004م، ص: 60.
(5) نازك الملائكة، قضـايا الشـعر المعاصـر، منشـورات مكتبة النهضـة، بغداد، ط2، 1965م، ص: 233.
(6) فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص: 61.
(7) خالد زغبية، الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 263.
(8) المصدر السابق، ص: 264، 265.
(9) فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، ص: 88.
(10) خالد زغبية، الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 279.
(11) عزالدين علي الســيد، التكرير بين المثير والتأثير، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1986م، ص: 80.
(12) المرجع السابق، ص: 81.
(13) خالد زغبية، الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 253.
(14) المصدر السابق، ص: 253.
(15) منذر عياشي، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 84.
(16) خالد زغبية، الأعمال الشعرية الكاملة، ص: 247.
(17) المصدر السابق، ص: 250، 251.